

أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة.
والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك. وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة
قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ } واللذان بعدها.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
{ يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ * هُوَ الَّذِیْ
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِیْرٌ * خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِلَحَقٍّ وَصَوَّرَكُمْ
فَاَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَاِلَيْهِ لَمَصِیْرٌ * یَعْلَمُ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَیَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ وَاللّٰهُ
عَلِیْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ * اَلَمْ یَاتِكُمْ نَبَاٌ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوْا وَبَالَ اَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِیْمٌ * ذٰلِكَ
بِاَنَّهُ كَانَتْ تَاْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَعَاوَا اَبَشَرٌ یَّهْدُوْنَآ فَكَفَرُوْا وَتَوَلَّوْا وَ سَلَّتْنٰی اِلٰهَآ وَ اَللّٰهُ عِنِّیْ حَمِیْدٌ
{

وقد سبق تفسير فاتحتها إلى قوله تعالى: { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } وفيه قولان:
أحدهما: أن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا، رواه الوابي عن ابن عباس. والأحاديث تعضد هذا القول،
كقوله عليه الصلاة والسلام: «خلق فرعون في بطن أمه كافرا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه
مؤمنا» وقوله: «فيؤمر الملك بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.
والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: { خَلَقَكُمْ } ثم وصفهم، فقال تعالى: { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ }، واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال:
أحدها: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس.
والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر، في العاقبة قاله أبو
سعيد الخدري.

والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي
رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء.

والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج. والكفر بالخلق مذهب الدهرية،
وأهل الطبائع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: { وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُوْرَكُمْ } قال الزجاج: أي:
خلقكم أحسن الحيوان كله. وقرأ الأعمش «صوركم» بكسر الصاد. ويقال في جمع صورة: صور،
وصور، كما يقال في جمع لحية: لحي، ولحي وذكور ابن السائب أن معنى «فأحسن صوركم» أحكمها.
وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: { وَیَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ } روي المفضل عن عاصم «يسرون»
و«يعلنون» بالياء فيهما { اَلَمْ یَاتِكُمْ نَبَاٌ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ } هذا خطاب لأهل مكة خوفاهم ما نزل
بالكفار قبلهم، فذلك قوله تعالى: { فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ } أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من
العذاب في الدنيا { وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِیْمٌ } في الآخرة { ذٰلِكَ } الذي أصابهم { بِاَنَّهُ كَانَتْ تَاْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنٰتِ } فينكرون ذلك، ويقولون: { اَبَشَرٌ } أي: ناس مثلنا، { یَّهْدُوْنَآ } والبشر اسم جنس معناه
الجمع، وإن كان لفظه واحد { فَكَفَرُوْا وَتَوَلَّوْا } أي: أعرضوا عن الإيمان { وَ سَلَّتْنٰی اِلٰهَآ } عن
إيمانهم وعبادتهم.

{ رَزَعَمَ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا اَنْ لَّنْ یُبْعَثُوْا قُلٌّ یَلٰی وَرَبِّیْ لَنُبَعَثَنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوْنَ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلٰی اللّٰهِ یَسِیْرٌ *
قَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَالتَّوْرَ الَّذِیْ اَنْزَلْنَا وَ اَللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ حٰیْبٌ * یَوْمَ یَجْمَعُكُمْ لَیْوَمٍ لِّجَمْعِ ذٰلِكَ یَوْمُ
التَّعٰیْنِ وَمَنْ یُّؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَیَعْمَلْ صٰلِحًا یُكْفَرْ عَنْهُ سَبِّئَتْهُ وَیُدْخِلْهُ جَنَّتٍ تَجْرٰی مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِیْنَ
فِیْهَا اَبَدًا ذٰلِكَ لِقَوْرٌ لِّعَظِیْمٍ * وَ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآیٰتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ خٰلِدِیْنَ فِیْهَا وَبٰسَ
لِمَصِیْرٍ * مَا اَصَابَ مِنْ مُّصِیْبَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَمَنْ یُّؤْمِنْ بِاللّٰهِ یَهْدِ قَلْبَهُ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ *
وَاطِیْعُوْا اِلٰهَآ وَاطِیْعُوْا الرَّسُوْلَ فَاِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاِنَّمَا عَلٰی رَسُوْلِنَا لَبٰیغٌ لِّمِیْنٍ * اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَعَلٰی
اللّٰهِ فَلِیَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَكُمْ فَحَدِّثُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا
وَيَضَعُوهَا وَإِن تَعَفَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * وَاقْفُوا
اِلٰهَآ مَا سَلَّطَعْنٰمْ وَ سَلَّطَعُوْا وَاطِیْعُوْا وَانْفِقُوا حٰیْرًا لِّاَنْفُسِكُمْ وَمَنْ یُّوقِ شَحَّ نَفْسِهِ قَاوْلٰئِكَ هُمْ
لِمُفْلِحُوْنَ * اِنْ تُرْضُوا اِلٰهَآ قَرْضًا حَسَنًا یُضَعِفْهُ لَكُمْ وَیَعْفِرْ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ شَكُوْرٌ حَلِیْمٌ * عَلِیْمٌ لِّغَیْبِ
وَ السَّهْدَةِ لِعَزِیْرٍ لِّحَكِیْمٍ }

قوله تعالى: { رَزَعَمَ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا } كان ابن عمر يقول: «زعموا» كناية الكذب. وكان مجاهد يكره أن
يقول الرجل: زعم فلان.

قوله تعالى: {وَدَلِّكَ عَلَىٰ آلِهِ يَسِيرٌ} يعني: البعث {وَاللَّوْرُ} هو القرآن، وفيه بيان أمر البعث والحساب والجزاء.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ} هو منصوب بقوله تعالى: «لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم» {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} وهو يوم القيامة.

وسمي بذلك لأن الله تعالى يجمع فيه الجن والإنس، وأهل السموات، وأهل الأرض {دَلِّكَ يَوْمَ اللَّتَايْنِ} تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ. والمراد في تسميته يوم القيامة بيوم التغابن فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينئذ الكافر، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: غبن أهل الجنة أهل النار، قاله مجاهد، والقرظي.

والثالث: أنه يوم غبن المظلوم الظالم، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبونا، فصار في الآخرة غابنا، ذكره الماوردي.

والرابع: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه للإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ذكره

الثعلبي. قال الزجاج: وإنما ذكر ذلك مثلاً للبيع والشراء، كقوله تعالى: {فَمَا رَیَحْتَ تِجَارَتِهِمْ}

{البقرة: 16} وقوله تعالى: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ} {الصف: 10} وما بعد هذا ظاهر إلى قوله

تعالى: {صَلِحًا يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَتِهِ} قرأ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم «نكفر» و«ندخله»

بالنون فيهما. وإلحاقون: بالياء {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} قال ابن عباس: بعلمه وقضائه

{وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} فيه ستة أقوال:

أحدها: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، رواه علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس. وقال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله تعالى،

فيسلم، ويرضى.

والثاني: يهد قلبه للاسترجاع، وهو أن يقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون. قاله مقاتل.

والثالث: أنه إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر، قاله ابن السائب، وابن قتيبة.

والرابع: يهد قلبه أي: يجعله مهتدياً، قاله الزجاج.

والخامس: يهد وليه بالصبر والرضى، قاله أبو بكر الوراق.

والسادس: يهد قلبه لاتباع السنة إذا صح إيمانه، قاله أبو عثمان الحيري. وقرأ أبو بكر الصديق،

وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: «يَهْدُ» بياء مفتوحة. ونصب الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. قال الزجاج: هذا

من هدا يهدأ: إذا سكن. فالمعنى: إذا سلم لأمر الله سَكَنَ قَلْبُهُ. وقرأ عثمان بن عفان، والضحاك،

وطلحة بن مصرف، والأزرقي عن حمزة: «تَهْدُ» بالنون. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن:

«يَهْدُ» بضم الباء، وفتح الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى:

{إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} سبب نزولها أن الرجل كان يسلم. فإذا أراد الهجرة منعه

أهله، وولده، وقالوا: تَنْشُدُّكَ اللَّهُ أَنْ تَذْهَبَ وَتَدَعَ أَهْلَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَتَصِيرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ.

فمنهم من يَرِقُّ لهم، ويقيم فلا يهاجر، فنزلت هذه الآية. فلما هاجر أولئك، ورأوا الناس قد قَفَّهوا في

الدين هموا أن يعاقبوا أهلهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا} إلى آخر

الآية، هذا قول ابن عباس. وقال الزجاج: لما أرادوا الهجرة قال لهم أزواجهم، وأولادهم: قد صبرنا

لكم على مفارقة الدين ولا نصبر لكم على مفارقتكم، ومفارقة الأموال، والمساكن، فأعلم الله عز

وجل أن من كان بهذه الصورة، فهو عدو، وإن كان ولداً، أو كانت زوجة. وقال مجاهد: كان حب

الرجل ولده وزوجته يحمله على قطيعة رحمه ومعصية ربه. وقال قتادة: كان من أزواجهم، وأولادهم

من ينهاهم عن الإسلام، ويشبطهم عنه، فخرج في قوله تعالى: {عَدُوًّا لَكُمْ} ثلاثة أقوال:

أحدها: بمنعه من الهجرة، وهذا على قول ابن عباس.

والثاني: بكونهم سبياً للمعاصي، وعلى هذا قول مجاهد.

والثالث: بنهيمهم عن الإسلام، وهذا على قول قتادة.

قوله تعالى: {فَ حَذَرُواهُمْ} قال الفراء: لا تطيعوهم في التخلف.

قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} أي: بلاء وشغل عن الآخرة. فالمال والأولاد يوقعان في

العظائم إلا من عصمه الله. وقال ابن قتيبة: أي: إغرام. يقال: فتن فلان بالمرأة، وشغف بها، أي:

أغرم بها. وقال الفراء: قال أهل المعاني: إنما دخل «من» في قوله تعالى: «إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ» لأنه

ليس كل الأزواج، والأولاد أعداء. ولم يذكر «من» في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}

لأنها لا تخلو من الفتنة، واشتغال القلب بها. وقد روى بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

كان يخطب، فجاء الحسن، والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل من المنبر،

فحملهما، فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله عز وجل: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما. قوله تعالى: {وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} أي: ثواب جزيل، وهو الجنة. والمعنى: لا تعصوه بسبب الأولاد، ولا تؤثرهم على ما عند الله من الأجر العظيم {وَأَقْبُوا اللَّهَ مَا سَلَّطَعْنَا} أي: ما أطقتم {وَسَلِّمُوا} ما تؤمرون به {وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ} وفي هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: نفقة المؤمن على نفسه، قاله الحسن. والثالث: النفقة في الجهاد، قاله الضحاك {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ} حتى يعطي حق الله في ماله. وقد تقدم بيان هذا في {لِحَشْرِ} وما بعده قد سبق بيانه إلى آخر السورة {البقرة: 254، والحديد: 11، 18، والحشر: 23 / 24}.